

الحلقة التاسعة

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل عدة حلقات بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلما أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة الدرس الثالث من دروس الحكمة للشباب، وكان موضوعه ثق وأطع. أي ثق بكلمة الله كما جاءت في الكتاب المقدس، وأعمل بها. وعلما أن أهم وصية في كلمة الله هي محبة القريب، أي محبة الناس الآخرين والإحسان إليهم، حتى ولو كانوا أعداء لنا.

هل تثق بالله يا صديقي؟ وهل تعتمد عليه في كل أمور حياتك؟ وهل تسلك في طريق التقوى والصلاح وتبتعد عن طرق الشر والفساد؟ أم تراك تعتمد على ذكائك في مواجهة المشاكل. كتب سليمان الحكيم متابعا نصائحه في الدرس الثالث من دروس الحكمة قائلاً: "توكّل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبلك. لا تكن حكيماً في عيني نفسك. اتّق الرب وابعد عن الشر، فيكون شفاء لسرّتك وسقاء لعظامك." (أمثال ٣: ٧ و٨)

هل تعلم مستمعي أن الخطوة الأولى في علاقتنا مع الله هي الإيمان به والثقة أنه قادر أن يعيننا في كل طرق حياتنا؟ لكن مجرد الإيمان العقلي بوجود الله تعالى لا يكفي بحد ذاته، إذ أننا بحاجة إلى ترجمة هذا الإيمان بشكل عملي عن طريق الثقة بالله في كل أمور حياتنا. فكما أن الطفل لا يعتمد على نفسه بل يتكل على والديه في كل أمر، هكذا علينا نحن البشر أن نضع ثقنا بالله، ونتأكد أنه قادر على حفظنا وتسديد خطواتنا. وتبدأ خطوة الإيمان بأن ندرك أولاً أن الله مستعد أن يغفر ذنوبنا إذا تجاوبنا مع عمل المحبة الذي قام به.

لقد أرسل الله كلمته الأزلي المخلص المسيح، لكي يموت عوضاً عنا على خشبة الصليب، آخذاً عقاب خطايانا. وعندما نؤمن ونثق بما عمله المخلص المسيح من أجلنا، فإن الله يغفر آثامنا، ونصبح خليفة جديدة ومن أولاد الله. ولهذا كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يُعترف به للخلاص. لأن الكتاب يقول: كل من يؤمن به لا يُخزي." (رومية ١٠: ٩-١١)

إذن إن خطوة الإيمان الحقيقي تبدأ بالإيمان بالمخلص المسيح. وعندما يقوم الإنسان بهذه الخطوة، فإنه يستطيع أن تكون لديه هذه الثقة الكاملة بالله، وأن يعتمد على الله في كل أمور حياته. ويعطيه الله القوة لكي يبتعد عن الشر، ويسلك في طريق الصلاح والخير. فهل تراك صديقي تخطو خطوة الإيمان الحقيقي هذه؟

هل تعلم صديقي ما هي أهمية ومميزات الحصول على الحكمة أو خلاص الله؟ أجابنا سليمان الحكيم عن هذا السؤال عندما تحدّث في الدرس الرابع من دروس الحكمة للشباب عن مسرّات أو بركات الحكمة. فكتب قائلاً:

"طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة وللرجل الذي ينال الفهم. لأن تجارتها خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص. هي أثمن من اللآلئ وكل جواهرك لا تساويها. في يمينها طول أيام وفي يسارها الغنى والمجد. طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام. هي شجرة حياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط. الرب بالحكمة أسس الأرض. اثبت السموات بالفهم. بعمله انشقت اللجج وتقطر السحاب ندى." (أمثال ٣: ١٣-٢٠)

أن يجد الإنسان الحكمة أو خلاص الله هو أمر ثمين جداً، وهو أثمن بما لا يُقاس من كل ما يسعى إليه الناس. وهي كما وصفها المخلص المسيح كالكنز الثمين المُخفي، وكاللؤلؤة كثيرة الثمن، والتي كنا قد تكلمنا عنها في درس سابق. ولهذا قال سليمان الحكيم هنا أن تجارة هذه الحكمة، أي معرفتها، خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص، هي أثمن من اللآلئ وكل جواهرك لا تساويها. ولم يقف عند هذا الحد، بل أكد أن في يمينها وفي يسارها، أي من نتائجها، تأتي بركات لا تُحَدُّ ينالها الإنسان.

وهل هناك أعظم من أن يحصل الإنسان على غفران خطاياها، ويصبح من أولاد الله، ويحل الروح القدس في قلبه، ويتأكد من نواله الحياة الأبدية؟ وليس هذا فحسب بل يختبر الإنسان السعادة القلبية والسلام الحقيقي. ولهذا قال عنها الحكيم: أن طرقها طرق نِعَم وكل مسالكها سلام. والحقيقة أن الإنسان الذي يعرف خلاص الله يكون كما قال الحكيم هنا، كمن أمسك بشجرة الحياة، أي اختبر ازدهار الحياة الحقّة واخضرارها في حياته. ولهذا وصفه بالمغبوط أي بالإنسان السعيد. وهو نفس الوصف الذي سبق للنبي داود أن تحدّث عنه في مزموه الأول عندما كتب قائلاً:

"طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً. فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه. التي تعطي ثمرها في أوانه. وورقها لا يذبل. وكل ما يصنعه ينجح." (مزمور ١: ١-٣)

هل تعلم مستمعي أن خلاص الله المقدم لك من خلال المخلص المسيح هو أئمن شيء في الوجود؟ ولهذا قال المخلص المسيح: "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه." (بشارة متى ١٦: ٢٦) يظن الكثيرون أن الحصول على المزيد من المال والشهرة، وتلبية رغبات الجسد، سيحقق لهم السعادة. لكن المخلص المسيح يعلن أنه حتى لو ربح الإنسان العالم بكل ما فيه، لكنه خسر نفسه، فهو لن ينتفع شيئاً.

إن خلاص النفس إذن هو أئمن ما في الوجود. فهل تريد ربح نفسك أم خسارتها؟ وهل تعلم كيف تستطيع فعلاً ربح نفسك؟ لقد كشف لنا المخلص المسيح كيف نربح نفوسنا، وذلك بأن نؤمن به ونتبعه. وهو الذي قال أيضاً: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها." (بشارة متى ١٦: ٢٤ و٢٥) فهل تراك قد أدركت مستمعي كيف تربح نفسك؟